الوراقة والوراقون فى الأندلس

إعداد / رضا سعيد مقبل
المدرس المساعد بقسم المكتبات
جامعة الأزهر – فرع المنوفية
Redamokbel@yahoo.com

تمهيد :

شهدت الأندلس إبان الحكم الإسلامى (٩٢ هـ/ ٧١١م – ٨٩٧ هـ/ ١٤٩٢م) نهضة علمية كبيرة وكان ذلك نتيجة طبيعية لهذا المجتمع المسلم وجزء من العقيدة الإسلامية التى تحض على العلم ونشره ، وكان دخول الإسلام الأندلس نجاة لها من التخلف الذى ران على أوروبا في العصور الوسطي،فقد اختفت الأمية تماماً من الأندلس يقول دوزي : (أنه لم يكن يوجد في الأندلس رجل أمى بينما لم يكن يعرف القراءة والكتابة في أوروبا معرفة أولية سوي الطبقة العليا من القسس) .[١]

و أدرك الأندلسيون أن الكتاب – بما يحويه من علم – من أهم الأسس التى تقوم عليها أية نهضة علمية فاكثروا من المؤلفات فى جميع ميادين العلوم،وقد بلغت مؤلفات بعض علماء الأندلس بضع مئات مثل ابن حزم الذي بلغت مؤلفاته أربعمائة مجلد ،بل وصلت مؤلفات بعضهم ألف كتاب كعبد الملك بن حبيب .[٢]

وحرص العلماء على اقتناء مجموعات ضخمة من الكتب حتى يمكن القول بأنه لم يوجد عالم من علماء الأندلس إلا ولديه خزانة كتب خاصة حيث كان من مستلزمات مكانتهم العلمية أن تكون لهم مكتباتهم الخاصة التى يرجع إليها للتثقيف والمعرفة ويستعان بها فى التأليف والتصنيف .[٣]

وصارت الرغبة فى جمع الكتب لدى العلماء وغيرهم ويدل على ذلك ما رواه المقرى: نقلاً عن الحضرمى[٤]. «أقمت مرة بقرطبة ولا زمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب كان لى بطلبه اعتناء . إلى أن وقع وهو بخط جيد وتسفير مليح ففرحت به أشد الفرح ، فجعلت أزيد ثمنه فيرجع إلى المنادى بالزيادة على ، إلى أن بلغ فوق حده فقلت له : يا هذا، أرنى من يزيد فى هذا الكتاب حتى بلغه إلى مالا يساوى، قال : فأرانى شخصاً عليه لباس رياسة ، فدنوت منه، وقلت له : أعز الله سيدنا الفقيه، إن كان لك غرض فى هذا الكتاب تركته لك فقد بلغت الزيادة بيننا فوق حده؛ قال : لست بفقيه ،ولا أدرى ما فيه، ولكنى أقمت خزانة كتب، واحتفلت فيها لأتجمل بها بين أعيان البلد ، وبقى فيها موضع يسع هذا الكتاب؛ فلما رأيته حسن

الخط جيد التجليد استحسنته ، ولم أبال بما أزيد فيه، والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير؛ قال الحضرمى : فأحرجنى ، وحملنى على أن قلت له : نعم لا يكون الرزق كثيراً إلا عند مثلك ، يعطى الجوز من لا عنده أسنان ، وأنا الذى أعلم ما فى هذا الكتاب، وأطلب الانتفاع به ، يكون الرزق عندى قليلاً، وتحول قلة ما بيدى بينى وبينه». (٥)

وتشير هذه القصة إلى منزلة الكتب العظيمة لدي الأندلسيين سواءً العالم منهم و الأمى ، ويرجع ذلك إلى ازدياد الثراء فى الأندلس ،وصارت خزانة الكتب من أثمن محتويات المنزل يفتخر بها بين الناس وخاصة الكتب ذات التجليد الفخم التى تنم عن الغنى والثراء ،ويذكر د. شعبان خليفة معلقاً على تلك القصة أن بعض الأندلسيين كانوا يقلدون اليونانيين والرومان فى مجرد تكوين مكتبة شخصية لمجرد التباهى والتظاهر بالعلم والثقافة .(٦) كما تشير هذه القصة إلى أن الكتب كانت تباع فى مزاد علني يقوم عليه دلال «المنادى» كما تدل على وجود سوق خاص بالكتب فى كل مدينة أندلسية ، أشهرها سوق قرطبة.

ولقد بلغ حب الكتب عند الأندلسيين كل مبلغ حتى أنهم كانوا يفضلون اقتناء الكتب على شراء الملبس أو المأكل فربما خرج الواحد منهم بالدراهم ليشترى قوتاً لنفسه وعياله فيصادف فى طريقه كتاب يباع فيشتريه ويرجع بالكتاب بدلاً من الطعام.(٧)

وكانوا يعدون التفريط فى الكتب أو بيعها رذيلة تستوجب الذم ، فقد حدث أن باع العباس بن غالب الهمدانى بعض كتبه فكتب إليه أستاذه - أبو محمد القرطبى - فى ذلك قائلاً:

نبئت عباساً تــوزع كتبــــه ... نهباً وأصبح عــن هواهاً معــزلا

فعجبت من بطل يبيع سلاحــه ... عمداً ويضحى من الكتابة أعـزلا (٨)

وكان توافر الورق وازدهار الوراقة وكثرة الوراقين سببا أساسيا فى كثرة الكتب وانتشار عادة جمع الكتب بين الأندلسيين.

أ - صناعة الورق فى الأندلس :

وتعد صناعة الورق أحد فضائل الحضارة الإسلامية الأندلسية على أوروبا ، فمن الثابت أن صناعة الورق ظهرت أول أمرها فى بلاد الصين ، وكانوا يستخدمون الحرير فى صناعة الورق ، ثم أخذها العرب المسلمون عنهم وطوروها ؛ فاستخدموا القطن بدلاً من الحرير فى صناعة الورق(٩). وتلك حقيقة تاريخية توضحها اللغة؛ فالكلمة العربية «القطن» توجد فى كثير من اللغات الأوروبية فهى فى الأسبانية algodon ، والفرنسية coton والإنجليزية (١٠) cotton.

ثم انتشر الورق غرباً حتى وصل الأندلس الإسلامية ومنها إلى أوروبا حيث تركزت مصانع الورق ، فى مدينة شاطبة سنة ٣٣٩ هـ / ٩٥٠م.(١١) وكانت شاطبة jatiba المركز الرئيسى لصناعة الورق ، يقول

الإدريسى: «ويعمل بها - يقصد شاطبة - الكاغد (الورق) ما لا يوجد له نظير بمعمور الأرض ويعمم المشارق والمغارب».(١٢)

وهذا يعطينا دلالة واضحة على أن صناعة الورق كانت موجودة فى الأندلس منذ القرن الرابع الهجرى ويؤكد ذلك أيضاً المخطوطة التى عثر عليها الغزيرى فى مكتبة الأسكوريال(١٣) المكتوبة عام ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩م على ورق مصنوع من القطن ، كما تدل على أن العرب أول من أحل الورق محل الرق.(١٤)

ونظراً لأهمية صناعة الورق فى الأندلس فقد كانت تخضع لإشراف المحتسب - يعنى بمعالجة سلبيات المجتمع - وذلك لضمان عدم التلاعب فى هذه الصناعة لأن عليها مدار الدين والدنيا. يقول عمر بن عثمان بن العباس الجرسيفى: «ويجب على الكغادين ، اختيار الخرق وتمييزها، والمبالغة فى طبخها وتنظيفها من جميع الشوائب والتخمير واعتدال الغرف ،والتلبيس النضج من الحنطة الجديدة السالمة من العفن والتسويس ، مع وفور القالب المشهور ، السالم من التشطى والتقنطر، والدلك المعتدل السالم من إخراق الضرس والتكسير ، ويتأكد الأمر فيهم ، إذ عليهم مدار الدين والدنيا ، وكذلك الرقاقين فى اختيار الجلد واعتدال التبشير والتنظيف.(١٥)

- ويتضح من النص السابق ما يلى :

أن هناك مجموعة من الضوابط والمعايير التى يجب على الكغادين - المعنيين بصناعة الورق - اتباعها، ويقوم المحتسب بالإشراف على تطبيق تلك الضوابط.

أن طائفة الرقاقين - الذين يستخدمون الرق كمادة للكتابة عليه - كانت هى الأخرى تخضع لإشراف المحتسب.

أن الرق استخدم فى وجود الكاغد (الورق) ، وأن استخدام الرق ظل فترة طويلة فى الأندلس مصاحباً للورق.

ب - دور الوراقين فى ازدهار الحركة الفكرية :

وقد هيأ ظهور الورق وانتشاره فى الأندلس فى وقت مبكر إلى ازدهار حرفه الوراقة ، وظهور طبقة الوراقين مما كان له أكبر الأثر فى ازدهار الحركة الفكرية وسهولة الحصول على الكتاب ، وسرعة تداوله بين طلاب العلم وإمداد المكتبات الأندلسية بالكتب ؛ حيث قامت الوراقة فى ذلك الزمن بما تقوم به المطابع ودور النشر فى العصر الحاضر بتوفير نسخ متعددة من الكتاب الواحد .

وعرف أبو سعد السمعانى لفظ الوراق بقوله :«الوراق بفتح الواو وتشديد الراء فى أخرها القاف؛ هو اسم لمن يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها ، وقد يقال لمن يبيع الورق وهو الكاغد»(١٦)

ويفهم مما سبق أن عمل الوراق يقتصر على «النسخ» و«بيع الورق» ، إلا أن ابن خلدون يعطى للوراقة معنى أوسع حيث يقول وهى «انتساخ الكتب وتصحيحها وتجليدها وسائر الأمور الكتبية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة العمران».(١٧)

– وهكذا فإن الوراقة بمعناها الشامل تقوم على ثلاثة أمور:

١- نسخ الكتب ٢- تجليد وزخرفة الكتب ٣- بيع الكتب وسائر أدوات الكتابة

وقد أقبل الكثير من أهل الأندلس على حرفة الوراقة لما تدره من ربح وفير ، وكان وراقوا الأندلس من أمهر الوراقين وأحذقهم يقول المقدسى :«وأهل الأندلس أحذق الناس فى الوراقة وخطوطهم مدورة»(١٨)

وتخبر كتب التراجم الأندلسية أن أهل العلم فى الأندلس كانوا يتصفون بجودة الخط وحسن الوراقة ، وتوجد الكثير من العبارات التى تدل على ذلك منها ؛ (وكان أنيق الوراقة بديعها ، بارع الخط رائق الوراقة ، كان جلداً على الوراقة محترفاً بها ، كان حسن الخط جيد الضبط دؤوبا على الوراقة ، تعيش دهراً طويلاً بالوراقة، كان وراقاً يبيع الكتب ... وغيرها).

وقد اشتغل بعض الأمراء فى الأندلس بالوراقة وكانت مصدر رزقهم ، فالأمير الأموى محمد بن هشام بن الأمير عبد الرحمن بن الحكم الربضى «كتب بخطه الكثير وأتقنه ، وتعيش بالوراقة دهراً ، وكان حيا سنة خمس وعشرين وأربعمائة (١٩)» . ويبدو أن هذا الأمير عاش فى خمول وعزلة بعد سقوط خلافة بنى أمية فى الأندلس . وكان الأمير عبد الله بن بلقين أخر أمراء بنى زيرى فى غرناطة – خلعه المرابطون سنه ٤٨٣ هـ / ١٠٩٠م– مشهوراً بحسن خطه يقول عنه الغافقى :« وكان حسن الخط ، وكانت بغرناطة ربعة مصحف بخطه فى نهاية الصنعة والإتقان»(٢٠)

كما اشتغل بالوراقة بعض الوزراء ومنهم الوزير محمد بن عبد الرحمن بن هانئ اللخمى الغرناطى (ت ٥٥٦ هـ / ١١٦١م) وكان «حسن الخط والوراقة وصاحب دراية ورواية (٢١)

ومن مشاهير من اشتغل بالوراقة الأديب عبد الله بن سارة الشنتريني (ت٥١٧هـ/١١٢٣م) وتبلغ بالوراقة ، وله منها جانب بوبها بصر ثاقب ، فانتحلها على كساد سوقها ، وخلو طريقها ، ويقول فيها :

أما الوراقة فهى أيكة حرفــــة أوراقهـــا وثمارهـــا الحرمـــان

شبهت صاحبها بصاحب إبرة تكسو العراة وجسمها عريـــان»(٢٢)

يفهم مما سبق أنه على الرغم من أن حرفة الوراقة من المهن المرموقة التي احترفها كثير من العلماء و أهل الفضل إلا أنها مهنة شاقة متعبة وينظر إلى صاحبها بعين من الشفقة والازدراء.

وكانت مهنة الوراقة تنتقل من الآباء إلى الأبناء ،فهذا هو بكر بن الحسن بن غريب القيسى المعروف بابن السماء (من أهل القرن الخامس الهجرى) «كان وراقاً حسن الخط ، كتب علماً كثيراً ، وكان أبوه الحسن وراقاً أيضا (٢٣)» . وكان محمد بن سليمان بن سيدارى الكلابى الوراق (ت٥٤٨ هـ / ١١٥٤م) « يبيع الكتب فى دكان له، وكان أبوه وراقا (٢٤)» . وكان عبد الله بن سهل الأنصارى المعروف بابن عطوس (ت ٦١٠ هـ /

١٢١٤م) من أهل بلنسية ، يكتب المصاحف وينقطها وانفرد فى وقته بالإمامة فى ذلك براعة خط وجودة ضبط .... خلف أباه وأخاه فى هذه الصناعة التى تميزوا بها، وكان معروفاً فيها وفى إبداعها آية من آيات خالقه»(٢٥). وكان ابنه عبد الله أيضاً وراقاً.(٢٦)

١ - نسخ الكتب :

يعد النسخ العمل الرئيسي في الوراقة ،وكان النسخ يتم بإحدى طريقتين ،الأولي فردية :بمعنى أن ينسخ الناسخ من المخطوط مباشرة بنفسه وبعد الانتهاء منه يراجعه غيره للتأكد من صحة ما نسخ ،والثانية جماعية : بمعنى أن يجلس عدد من النساخ،ويملى عليهم آخر من الكتاب المراد نسخه عدة نسخ و بعد الفراغ تجرى عليه المقابلة (٢٧) وهذا يفسر لنا عدد النسخ الكثيرة من الكتاب الواحد.

وقد عُرف النُساخ الأندلسيون بجودة الخط وإتقانه وأصبح الخط الأندلسى من أشهر الخطوط المعروفة فى العالم الإسلامى ، ذلك أن جودة الخط وسلامة النص كانت من مواصفات الناسخ الجيد ، إلا أنه دخل هذه الحرفة بعض من يتصفون برداءة الخط والإهمال مما دفع بعض العلماء إلى القيام بنسخ الكتب بأنفسهم ومنهم سعيد بن عبد الله سعيد اللخمى وكان «أديباً ذا حظ وافر من علم العربية ، وقرض الشعر تاريخياً ذاكراً أيام الناس ماهراً فى التعاليم ، وكتبه التى يتولى انتساخها بيده ؛ من أجل ما يعتمده بعض أهل ذلك الفن من إفراط رداءة الخط».(٢٨)

وللسبب نفسه نصح محمد بن إبراهيم اللخمى الإشبيلى (ت ٦٣٩ هـ / ١٢٤١م) النُساخ بتحرى الدقة والبعد عن التصحيف مع وضوح الخط قائلاً:

فلا تكتب بيمينك غير خط　　　بهى بيِن صحت يمينـــــك

ولا تكتب بهـا خطاً دقيقـــــاً　　　فأحوج ما تكون له يخونـــك»(٢٩)

يفهم من ذلك أنه وجدت طائفة من الوراقين لا تراعى أصول مهنة الوراقة ، وكان هؤلاء الوراقون المنحرفون هم الاستثناء ، أما القاعدة العريضة ، فكانت تلتزم بأصول وقواعد تلك المهنة. وكان العلماء يستخدمون الوراقين للقيام بأعمال النسخ والتجليد فقد كان القاضي أبو المطرف بن فطيس (ت ٤٠٢هـ / ١٠١١م) محباً للعلم، جماعاً للكتب ، وقد استخدم ستة وراقين لنسخ ما يريده من الكتب ، وقد قرر لهم مقابل ذلك راتباً معلوماً (٣٠) ومن هؤلاء الوراقين محمد بن عيسى بن أبى ثورة الحضرمى الوراق(ت ٣٩٦هـ / ١٠٠٦م) وكان«حسن الخط جيد الضبط ، وكان ينسخ للقاضى أبى المطرف بن فطيس كتبه ويقيد مقاله» (٣١). ويفهم مما سبق أن ابن فطيس لكى يضمن استمرار هؤلاء الوراقين فى النسخ وعدم التسرع فى العمل، جعل لهم أجراً ثابت القيمة.

وكان الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠ هـ - ٣٦٦هـ) أكثر الخلفاء عناية بالعلم والمعرفة وكان بقصره طائفة من الوراقين والمجلدين، يقول ابن خلدون:

«إن الحكم جمع بداره الحذاق فى صناعة النسخ والمهرة فى الضبط والإجادة فى التجليد فأوعى من ذلك كله».[٣٢] ومن أشهرهم: عباس بن عمر بن هارون الكنانى الوراق (ت ٣٧٩هـ / ٩٩٠م) (٣٣)وظفر البغدادي ، وهو من الوافدين على الأندلس ، سكن قرطبة ، وكان من رؤساء الوراقين المعروفين بحسن الخط،[٣٤]. وإبراهيم بن سلم الأفريقى الوراق [٣٥].وأحمد بن سعد بن مقدس [٣٦] وكان هؤلاء الوراقين يعملون باستمرار فى القصر، ومعهم مجلدون آخرون من صقلية وبغداد.[٣٧]

وكان معظم علماء الأندلس ينسخون كتبهم بأنفسهم و يتحملون في ذلك مشاق ،و منهم سعيد بن سلمة بن السمح (ت٤١٣هـ /١٠٢٢ م) «الذي ظل يمارس حرفة النسخ والكتابة ستين عاماً كاملة وكانت كتبه غاية في الصحة و نهاية في الضبط ولم يكن ثم كتب أصح منها»[٣٨] وحمام بن أحمد بن صالح الأطروشي (ت٤٢١ هـ/١٠٢٩ م) وكان حسن الخط ينسخ من نهاره نيفاً وعشرين ورقة(٣٩) وكان عبدالرحمن بن محمد بن عياش الأنصاري المعروف بابن الحصار (ت٤٣٨هـ/١٠٤م) «حسن الخط جيد الضبط، وكانت أكثر كتبه بخطه وكان صبوراً علي النسخ ،وذكر عنه أنه نسخ مختصر ابن عبيد وعارضه في يوم واحد»[٤٠] وكان القسم بن محمد بن سليمان القيسي(ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٥ م)كثير الكتب ،وقام بنسخ جل كتبه بخطه.[٤١] وكان العالم أحمد بن علي بن حكم القيسي (ت٥٩٨ هـ/١٢٠١م) ينسخ الكتب ، وعندما سئل عن مقدار ما نسخ قال إنتسخت في عمري ثماني آلاف ورقة. [٤٢] وعتيق بن يحيى بن حارث المذحجي (ت ٦٠٣ هـ/١٢٠٦ م)وكان ينسخ كتبه بيده [٤٣]

وكانت عملية النسخ تشغل صاحبها ويستغرق فيها و لا يعير محدثه أي اهتمام ؛ فقد كان أحمد بن مفرج النباتي المعروف بابن الرومية(ت٦٣٧ هـ/١٢٣٩م). «له دكان يبيع فيه الحشائش وينسخ الكتب أيضاً، وذات مرة اجتاز الأمير عبد الله بن هود- حكم الأندلس في أواخر القرن السادس الهجري- فسلم عليه فرد ابن الرومية عليه السلام و اشتغل بنسخه و لم يرفع إليه رأسه ،فبقي واقفاً منتظراً أن يرفع إليه رأسه ساعة طويلة، فلما لم يحفل به ساق فرسه ومضى» [٤٤]

كما اشتغل بالوراقة طائفة كبيرة من النساء ، حكى ابن فياض فى تاريخه أنه «كان بالربض الشرقى من قرطبة مائة وسبعون امرأة كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفى ، هذا من ناحية من نواحيها فكيف بجميع جهاتها ؟! والتى بلغ عددها ثمانية وعشرين ربضا» [٤٥]

ومن النساء الوراقات عائشة بنت أحمد القرطبى (ت ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) «فقد كانت حسنة الخط، تكتب المصاحف والدفاتر ،وتجمع الكتب وتعنى بالعلم» [٤٦]. وسعيدة بنت محمد بن فيرة الأموى التطيلى (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م) وكانت «تنسخ الكتب ، ناقدة فيما تكتبه» [٤٧]

وعرفت الأديبة صفية بنت عبد الله الربي (ت٤١٧هـ) بالبراعة فى الكتابة وجودة الخط ، وقد عاتبتها إحدى النساء على خطها فقالت :

و عائبة خطى فقلت لها اقصـرى فسوف أريك الدر فى نظم أسطرى

ونا ديت كفى كى تجود بخطـها قربت أقلامى ورقـي ومحـبري

فخطت بأبيات ثلاث نظمتـها ليبدو لها خطي وقلت لها انظـرى(٤٨)

ومن الأعمال المرتبطة بالنسخ المقـابلة وهي مرحلة تالية لعملية النسخ تتم بين الكتاب الذي تم نسخه وبين الأصل الذي نقل عنه ؛وذلك بإحضار كافة النسخ من الكتاب الواحد ومقابلتها و التحقق من صحتها، وكان يقوم بهذه المهمة كبار العلماء نذكر منهم : محمد بن يحي بن عبد السلام الأزدي الرباحي (ت٣٥٨ هـ/٩٦٩ م) «وكان فقيهاً إماماً موثوقاً ....و زاول مهنة مقابلة الدواوين و النظر فيها.»(٤٩) وكان سعيد بن نصر بن أبي الفتح(ت٣٩٥ هـ/١٠٠٥ م)» من أهل الروٰاية والاجتهاد والدراية بطلب العلم والحديث وتجويد الكتب والمقابلة لها و تصحيحها ،وكان الخليفة الناصر يلجأ إليه في تصحيح ومقابلة الكتب .(٥٠) ولقد أنشأ الخليفة الحكم لمقابلة الكتب ديواناً خاصاً بمكتبته، و عمل بهذا الديوان كثير من العلماء منهم أبو بكر بن السليم (٥١)و محمد بن يوسف المعافري(٥٢) وأبو القاسم أحمد بن يوسف(٥٣)، و كان أبو علي القالي اللغوي الذائع الصيت يراجع ويقابل الكتب النادرة و الهامة في مكتبة الحكم ،و اشترك مع محمد بن أبي الحسين الفهري ،و محمد بن معمر الجياني في مقابلة الكثير من معاجم اللغة ،و منها كتاب العين للخليل بن أحمد؛ حيث «أحضروا كل نسخ الكتاب ، ومن جملتها نسخة القاضي منذر بن سعيد البلوطي ...،وبعد القيام بمقابلة النسخ إتضح أن تلك النسخة أكثر النسخ تصحيفاً و خطأً وتبديلا».(٥٤)

٢ – تجليد وزخرفة الكتب :

وبعد النسخ تأتى عملية تجليد الكتب ؛ وهى أحد عناصر الوراقة الهامة ؛ فقد حرص الوراقون- بالإضافة إلى جودة النسخ – على أن يكون الكتاب على جانب من جمال الشكل وجودة التجليد ، ولقد أتقن أهل الأندلس هذا الفن ، واشتهرت مالقة بصناعة الجلود الممتازة ، وتجليد الكتب تجليداً فاخراً(٥٥)، ولقد رأينا من قبل كيف عثر العلامة الحضرمى على كتاب فى سوق الكتب بقرطبة فسر به لحسن خطه وجودة تجليده.

وممن برع فى تجليد الكتب من الأندلسيين : أبو القاسم البرجى الغرناطى وكـان «يجيـد تسفير الكتب» (٥٦) وبكر بن إبراهيم بن المجاهد اللخمى (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م) وكان «يحترف تسفير الكتب».(٥٧) كما اشتغل بعض الأندلسيين بزخرفة وتذهيب الكتب ، فقد كان جد أحمد بن عتيق يعرف بالذهبى «لاشتغاله بتذهيب الكتب»(٥٨). ويحيى بن محمد بن على القيسى» وكان من أهل الخط والتذهيب(٥٩)

٣ - بيع الكتب :

وبعد نسخ وتجليد الكتب يقوم الوراقون ببيعها لمن يطلبها ويحصلون من وراء ذلك على أرباح مجزية وقد انتشرت أسواق الكتب فى المدن الأندلسية ومن أشهرها سوق قرطبة ويؤيد ذلك ما أثبته أبو الفضل التيفاشى بقوله: «جرت مناظرة أمام المنصور يعقوب ملك المغرب بين الفقيه أبى الوليد بن رشد،والرئيس أبى بكر بن زهر ، فقال ابن رشد لابن زهر فى تفضيل قرطبة : ما أدرى ما تقول : غير أنه إذا مات عالم بإشبيلية فأريد بيع كتبه حُملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإن مات مطرب بقرطبة، وأريد بيع آلاته حُملت إلى إشبيلية ، ثم قال : وقرطبة أكثر بلاد الله كتبا» (٦٠)

وكان يوجد باشبيلية سوق خاص بالكتب يتردد إليه أهل العلم بحثا عن الكتب ،وقد إشتغل كثير من أهلها بتجارة الكتب و كان بها شارع يسمى شارع الوراقين؛حيث عثر ابن مزين في أحد حوانيته علي مُؤلف تاريخي نادر من تأليف الرازي. (٦١)

وقد اقتصر بعض الوراقين على تجارة الكتب وبيعها ، ومنهم عبد الله بن إبراهيم بن منتال الوراق (ت ٦١١ هـ / ١٢١٥م) من أهل مربيطر (٦٢). وكان له دكان بالقيسارية يقعد فيه للتجارة وبيع الكتب (٦٣) ومحمد بن محمد بن يبش العبدرى الغرناطى (ت ٧٥٣هـ / ١٣٥٢م) «وتميز أول وقته بالتجارة فى الكتب فسلطت منه عليها أرضة أكلة وسهم أصاب من رميتها الشاكلة وأثرى بسببها وأترب» (٦٤)

وبالإضافة إلى الدور الذى تقوم به حوانيت الوراقة فى إنتاج ونشر الكتب ، فقد كانت منتديات فكرية وأدبية يرتادها المثقفون والعلماء وتدور بينهم المحاورات أو المناقشات مما يساعد على التواصل الفكرى ونشر العلم والثقافة ؛ فقد كان لمحمد بن عبد الله بن مطروح التجيبى من أهل بلنسيه (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) حانوتاً للوراقة ، وكان هو إخبارياً أدبياً حلو النادرة فكهاً، وفى دكانه يجتمع الأدباء البلنسيون وتجذبهم إليه ثقافته الواسعة ،فيجلسون لديه فترات طويلة مستمتعين إلى ما يطرحه من قضايا أدبية مشاركين بآرائهم فى تلك القضايا(٦٥) .ومما سبق يتضح لنا أن الوراقة تمثل جانباً مضيئاً فى تاريخ الحضارة الأندلسية ؛ فقد عكست نشاطاً فكرياً رائعاً مما أدى إلى ازدهار الحركة الفكرية . وأن الكتاب حظى باهتمام وعناية بالغة من جانب العلماء الأندلسيين فاهتموا بالتصنيف والتأليف ، كما أسهم الوراقون بدور فعال فى نشر الكتب بين الناس مما ساعد على انتشار عادة اقتناء وجمع الكتب ، وكثرت المكتبات بأنواعها المختلفة فى الأندلس.

فقد اتجهت عناية الخلفاء والأمراء إلى إنشاء مكتبات فى قصورهم ، كما انتشرت المكتبات وقد عرفت الأندلس أغلب أنواع المكتبات؛ الخاصة بين أفراد الشعب اقتداء بأولى الأمر ،كما وجدت المكتبات العامة، والملحقة بالمساجد والمدارس ، والتي نعرض لها فى دراسة قادمة إن شاء الله.

الاستشهادات المرجعية

(١) عبد الرحمن علي الحجي.الحضارة الإسلامية في الأندلس:أسسها و ميادينها و تأثيرها علي الحضارة الأوربية. - بيروت:دار الإرشاد ، ١٩٦٩ . - ص ٢٨.

(٢) جرجي زيدان . تاريخ التمدن الإسلامي . - ط ٢. - القاهرة :دار الهلال ، ١٩٦٨.مج٢،جـ٣،ص١٩٢.

(٣) للمزيد انظر : رضا سعيد مقبل . تاريخ المكتبات الإسلامية فى الأندلس . - شبين الكوم ، ٢٠٠١ (رسالة ماجستير - كلية الآداب - جامعة المنوفية)

(٤) الحضرمى هذا : أحد علماء الأندلس ، وهناك أكثر من شخص حملوا هذه الكنية ،ولكن يبدو أن المقصود بهذا الخبر هو جابر بن محمد بن سليمان الحضرمى الإشبيلى المتوفى سنه (٥٩٦هـ / ١٢٠٠م).

انظر : السيوطى . بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحويين / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - بيروت : المكتبة العصرية ، ١٩٦٤، جـ ١ ، ص ٤٨٤).

(٥) المقرى . نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب / تحقيق إحسان عباس. - بيروت : دار صادر، ١٩٧٨ ، جـ١ ، ص٤٦٣

(٦) شعبان عبد العزيز خليفة . الكتب و المكتبات في العصور الوسطي . - القاهرة :الدار المصرية اللبنانية ،١٩٩٧.ص٢٧٧.

(٧) ابن عبد الملك المراكشي .الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة،السفر الأول،ق١،ص٢٢٩.

(٨) المصدر السابق ، السفر الخامس،ق١،ص١١٢.

(٩) لوبون،غوستاف .حضارة العرب /ترجمة محمد عادل زعيتر . - القاهرة:دار إحياء الكتب العربية،١٩٤٥،ص٥١٠

Pinto, Olga. The libraries of the Arabs during the time of the Abbasides . -

;. - P.213 (Islamic culture . - Vol 3. - (April, 1929

p, 160. (Inayatullah, Sh . Bibliophism in Mediveal Islam . - Islamic culture . - Vol 12 (April, 1938(10)

(١١) محمد ماهر حمادة .الكتاب العربي مخطوطا و مطبوعا. - الرياض :دار العلوم،١٩٨٤،ص١٥١.

(١٢) الإدريسي.نزهة المشتاق في اختراق الأفاق. - بور سعيد:مكتبة الثقافة الدينية،د.ت ، مج٢، ص٥٦٦.

(١٣) توجد مكتبة الأسكوريال،في قصر الأسكوريال الذي يقع بالقرب من مدريد،و يوجد بالمكتبة نحو ألفي مخطوط عربي ، وهذه المجموعة العربية هي البقية الباقية من المكتبات الأندلسية إبان الحكم الإسلامي للأندلس ، وجدير بالذكر أن الحكومة الأسبانية قامت بإهداء نسخة ميكروفيلمية من هذه المجموعة إلي مكتبة الإسكندرية كمساهمة في تنمية مجموعات مكتبة الإسكندرية .

انظر:رضا سعيد مقبل .مخطوطات مكتبة الأسكوريال المهداة إلي مكتبة الإسكندرية. -في المؤتمر السنوي القومي السادس لأختصاصى المكتبات والمعلومات - (الإسكندرية -مارس-٢٠٠٢).-ص٧.

(١٤) لوبون،غوستاف .حضارة العرب،ص٥٠٩.

(١٥) ابن عبدون .ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة و المحتسب/تحقيق ليفي بروفنسال. - القاهرة :المعهد العلمي الفرنسي ، ١٩٥٥،ص١٢٤.

(١٦) السمعاني .الأنساب . - بيروت:دار الجنان ،١٩٨٨.- جـ٥،ص٥٨٤.

(١٧)ابن خلدون .مقدمة ابن خلدون /تحقيق علي عبد الواحد وافي. - ط٣. - القاهرة:دار نهضة مصر ،١٩٨١،جـ٢،ص٩٧٤.

(١٨)المقدسي.أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . - ليدن: مطبعة بريل،١٩٠٩،ص٢٣٩.

(١٩)ابن عبد الملك المراكشي.الذيل والتكملة، السفر السادس، ص٩٦.

(٢٠)أمين توفيق الطيبي.دراسات في التاريخ الإسلامي. - طرابلس: الدار الأندلسية للطباعة،١٩٩٢،ص٣٨٩.

(٢١) السيوطي .بغية الوعاة ،مج١، ص١٥٤.

(٢٢) ابن بسام .الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة/تحقيق إحسان عباس. - بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٩، ق٢، مج٢، ص٨٤٣؛ ابن الخطيب . الإحاطة في أخبار غرناطة /تحقيق محمد عبد الله عنان. - القاهرة :مكتبة الخانجي، ١٩٧٣، جـ٣، ص٤٤١.

(٢٣) ابن الأبار .التكملة لكتاب الصلة/تحقيق عبد السلام هراس. - بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥، جـ١، ص١٧٧.

(٢٤) المصدر السابق، جـ٢، ص١٤.

(٢٥) المصدر السابق، جـ٢، ص١٠٥.

(٢٦) المصدر السابق، جـ٢، ص٢٦٣.

(٢٧) محمد ماهر حمادة. المكتبات في الإسلام : نشأتها و تطورها و مصائرها . - ط ٧ . - بيروت : دار الرسالة، ١٩٩٦، ص١٧٦.

(٢٨) ابن عبد الملك المراكشي .الذيل و التكملة ، بقية السفر الرابع ، ص٣٤.

(٢٩) المصدر السابق ،السفر السادس ، ص٢٥١.

(٣٠) ابن بشكوال .الصلة . - القاهرة: الدار المصرية للتأليف و الترجمة و النشر، ١٩٦٦، ص٣٠٩.

(٣١) المصدر السابق ، ص٤٨١.

(٣٢) ابن خلدون . العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . - بيروت :مؤسسة الأعلمي ، ١٩٧١، جـ٤، ص١٤٦.

(٣٣) ابن الفرضي . تاريخ علماء الأندلس . - القاهرة :الدار المصرية للتأليف و الترجمة والنشر ، ١٩٦٦، جـ١، ص١٤٨.

(٣٤) ابن الأبار . التكملة ، جـ١ ، ص ٢٧٨

(٣٥) المصدر السابق ، جـ١، ص ١٤٨.

(٣٦) ابن الفرضي . مصدر سابق ، جـ١، ص ٤٩.

(٣٧)ريبيرا ، خوليان .المكتبات و هواة الكتب في أسبانيا الإسلامية /ترجمة محمد جمال محرز . - معهد المخطوطات العربية، مج٤ ، ص٨٦.

(٣٨) ابن بشكوال . الصلة ، ص٢١٥.

(٣٩) المصدر السابق، ص ١٥٥

(٤٠) المصدر السابق، ص ٣٣٠.

(٤١) المصدر السابق، ص ٤٧٣.

(٤٢) ابن عبد الملك المراكشي .الذيل و التكملة ، السفر الأول ، ق١ ، ص ٣٠٥.

(٤٣) ابن الزبير .كتاب صلة الصلة /تحقيق ليفي بروفنسال . - الرباط : المطبعة الاقتصادية ، ١٩٣٧، ص ٥٦.

(٤٤)المقري . نفح الطيب ، جـ٢ ، ص ٥٩٧.

(٤٥) عبد الواحد المراكشى . المعجب فى تلخيص أخبار المغرب ، ص ٣٧٢ ؛

(٤٦) ابن بشكوال . الصلة ، جـ ٢ ، ص ٦٩٢.

(٤٧) ابن عبد الملك المراكشى. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة . - السفر الثامن ، ق ٢ ، ص ٤٨٧.

(٤٨) الحميدى . جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس . - القاهرة: الدار المصرية للتأليف، ١٩٦٦ . - ص ٤١٢

(٤٩)الزبيدي .طبقات النحويين و اللغويين / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .- ط ٢. - القاهرة :دار المعارف، ١٩٧٣ ، ص٣١٤ ؛ ابن الفرضي . تاريخ علماء الأندلس ، جـ٢، ص٦٩.

(٥٠) ابن بشكوال .الصلة ، ص ٢١٠.

(٥١)عياض .ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك / تحقيق أحمد بكير محمود . - بيروت :دار الحياة ، د.ت ، مج٢، جـ٤، ص٥٤٣.

(٥٢) المصدر السابق ،مج٢،جـ٤، ص٥٦٦

(٥٣) المصدر السابق ،مج٢،جـ٤، ص٥٤٤

(٥٤) الحميدي .جذوة المقتبس ، ص٥١.

(٥٥) أحمد شلبى . تاريخ التربية الإسلامية . - ط٤ . - القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٣م ، ص ١٧٠؛ عبد الستار الحلوجى . المخطوط العربى . - ط٢ . - القاهرة : مكتبة مصباح ، ١٩٨٩م ، ص ٢٣٩؛

(٥٦) المقرى . نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ٦٣.

(٥٧) ابن القاضي . جذوة الاقتباس فى ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس - الرباط : دار المنصور للطباعة والوراقة ، ١٩٧٣ ، ق ١ ، ص ١٦٩.

(٥٨) ابن سعيد المغربي . المغرب فى حلى المغرب / تحقيق شوقي ضيف - ط٣ - القاهرة : دار المعارف ، ١٩٧٨ ، جـ ٢ ، ص ٣٢١.

(٥٩) ابن الزبير . صلة الصلة، ص ١٨٢.

(٦٠)المقري . نفح الطيب ، جـ ١ ، ص ١٥٥.

(٦١) ريبيرا ، خوليان . المكتبات وهواة الكتب فى أسبانيا الإسلامية - مج ٥ ، ص ٧٨

(٦٢) مربيطر : مدينة بالأندلس بينها وبين بلنسية أربعة فراسخ.

(انظر . يا قوت الحموي . معجم البلدان / تحقيق فريد عبد العزيز الجندي . - بيروت : دار الكتب العلمية،١٩٩٠ ، جـ ٥ ، ص ١١٧).

(٦٣) ابن الأبار . التكملة لكتاب الصلة ، جـ٢ ، ص ٢٨٧.

(٦٤) ابن الخطيب . الإحاطة فى أخبار غرناطة ، جـ ٣ ، ص ٢٧، ٢٨ ؛ ابن الخطيب . الكتيبة الكامنة فى من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة / تحقيق إحسان عباس .- بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٣، ص ٩٠ ؛ المقري . نفح الطيب. جـ ٦ ، ص ٢٤٤.

(٦٥) ابن الأبار .التكملة لكتاب الصلة ، جـ ٢ ، ص ٩٥؛ ريبيرا. التربية الإسلامية فى الأندلس : أصولها المشرقية وتأثيراتها المغربية / ترجمة الطاهر أحمد مكي . - ط ٢ .- القاهرة : دار المعارف ، ١٩٩٤ ، ص ١٨٥.